المحنة وصكوك الغفران

كدت انسى من اين اسلمت للريح قلوعي .. وليتني
قد نسيت
قريتي لم تزل هناك واطوي في ضلوعي ، من سرها ،
ما لقيت
في ثراها الكئيب ينتشر العمر كاوراق تينة عافها الغيث
فألوى بها الجفاف المقيت
يستريح الانسان فيها الى ما يطفيء الفكر ، يقتل الحس
لو يرتد طيرا بستانه الملكوت
حيث يمضي حرا كأغنية الشلال ، حرا من محنة الخدر
المسموم ، يمضي طموحه المكبوت
النمال العزلاء تكدح ليلا .. ونهارا ، صيفا ، شتاء ..
تقاسي الجوع ، مرضى لم يحتمل صبرها البلوى
وتأبى جراحها .. كبرياؤها ذلة الشكوى اليهم ،
فتشبتهي لو تموت !
ويغنـي مصيرها عنكبوت !!
ويحها قريتي ، متى ؟ كيف تصحو بين فكي اعدائها ؟
ـ لعنة النمل عليهم ـ وكيف ؟ اين تبيت ؟
عرضها راعف، جدائلها الشقراء قصت، اثداؤها عريت للنار
اثداؤها .. واسكت عن مأساتها حين لا يطاق السكوت
ويحها ، ويحها .. يفض عذاراها ويشوي اطفالها عفريت
وعلى شمسها الوليدة يسطو من كهوف الظلماء حوت ..
فحوت
يطفر النحل عن رباها .. وطوبى للذباب الرشيد
والجيف الحبلى بمستنقع من الديدان !
ابدا يلهجون بالجنة الزهراء ملأى بالحور والولدان
بالفضاء الزيتي ابصارهم زاغت ، بنهر من خمرة الرحمن
يصرعون النهار في حرم التقوى وطول الدجى مع الشيطان
فيصلون للتباهي على الموتى ، وافكارهم بغايا ، زوان
ويصومون كي يمنوا على الله بما كابدوه في رمضان
شرش النرجس الطفيلي فيهم والدنى غابة من السنديان
تاجروا بالسماء حتى اشتكى مالك من يأسه على رضوان
أترى زارع النبوءة في شعبي حباهم حق احتكار الجنان؟

*

انا منهم غسلت ، يا شعبي الصاحي .. دمائي على اتون
انفجارك
لك مني وعد العروبة ، يا شعبي ، متى عسل الكرم
سأسقي النجوم نخب انتصارك
انا منهم برئت ، يا ارض شديني الى صدرك الغني، الحاني
واقذفي ، اقذفي بهم في قرارك
انهم يدلفون من رحم الليل ، فيا شمس عمديهم بنارك
علهم في غد يعـودون احرارا توليت سكبهم من نضارك
واستفزي عرائس الريف يرقصن حماسا على زفير المعارك

*

يا عروس السلام في كل ارض كللتها الدماء بالحريه
لك منا، من عزة الرمل فينا الف بشرى معسولة .. وتحيه
نحن عدنا من الذرا نبدأ التاريخ طفـلا في واحة عربيه
نحن ، يا ام ، نحن اغلى صغارك
هوذا دربنا عطاء الضحايا فانتقي من رؤاه لون سوارك
رسمته اوراس للعالم الضليل اسنى منارة ثوريه
لن ترى بين ما نعانيه في الحقل ونجنيه في البيادر هوه
فالجماهير ، والمدى يعربي الجرح والثار ، يعربي الاغاني
الجماهير في الطريق ، وحقد النمل في اوجه ،
مواقدنا الفرثى ستأتي على بقايا الزؤان
هو شعبي حرية تسع الكون :
فمنها ترحل النسمة الريا وبوح العصفور في نيسان
غده في يمينه قدر الجيل وما في دماه من عنفوان
غده البحر يحضن اللؤلؤ الغالي ويلقي الاصداف للشطآن!

جامعة دمشق — علي كنعـان